

لا تهجروا الأراضي القاحلة

حقائق حول الصحاري و التصحر

إن الصحاري بيئة قاسية قاحلة يعيش فيها القليل من الناس. بيد أن العديد من فصائل الحياة النباتية والحيوانية تكيفت على العيش في الصحاري، كما تدعم تنوع واسع من الحياة. فالضفادع الصحراوية تحفر جحوراً في الرمال تسكن فيه لشهور حتى تهطل الأمطار، حينها فقط تخرج لتتقاتل، وتتزاوج، وتضع البيض. وبعض الثدييات الصحراوية لها آذان طويلة أو غيرها من الزوائد الأخرى للتخلص من حرارة الجسم. بينما يحصل غيرهم على احتياجاتهم من الرطوبة من الطعام الذي يأكلونه. وفي ناميبيا ينمو أحد أنواع نبات شب الليل *Welwitschia mirabilis* الذي يواصل حياته من خلال الحصول على الرطوبة التي يتطلبها من الضباب اليومي الذي يجتاح صحراء ناميبيا.

بسبب الطبيعة الخاصة جداً التي تتسم بها الفصائل الصحراوية، فهي سريعة التأثر بتذبذب موائلها. ومن المفارقات المدهشة أن ما هو معروف ومسجل عن الصحاري قليل يكاد لا يذكر، من حيث الخصائص البيولوجية والبيئية والثقافية. وتعتبر صحاري العالم المختلفة فريدة بالنسبة لأصلها، وتاريخ تطورها، وأنماط مناخها، فهي بحاجة إلى وسائل إدارة وسياسيات مصممة خصيصاً لحمايتها.

تتسم الأراضي القاحلة بقلة هطول الأمطار وارتفاع معدلات التبخر وهي تمثل 41% من نسبة الأراضي على كوكب الأرض، كما أنها مأوى لأكثر من 2 مليار شخص. هذا فضلاً عن أن نصف الفقراء يعيشون في الأراضي القاحلة، ويعتمدون بشكل كبير على الخدمات البيئية لتلبية احتياجاتهم الأساسية.

إن الأشخاص الذين يحيون في الأراضي القاحلة، 90% منهم في الدول النامية، يتخلفون عن باقي العالم فيما يتعلق برفاه البشر ومؤشرات التنمية. ففي الدول النامية، تبلغ نسبة وفيات الأطفال في الأراضي القاحلة حوالي 54 طفلاً لكل 1.000، وهي نسبة تصل إلى ضعف ما هو عليه في الأراضي غير القاحلة و 10 أضعاف النسبة في الدول المتقدمة.

وفقاً لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، يعرف التصحر على أنه " تردي الأراضي في مناطق جافة وشبه جافة، وقاحلة شبة رطبة نتيجة للعديد من العوامل، تشمل فيما تشمل الاختلافات المناخية، والأنشطة البشرية". يتم تعريف تردي الأراضي فيما يتعلق بالأراضي القاحلة على أنه خفض إنتاجية الأراضي القاحلة الاقتصادية أو البيولوجية أو فقدانها. ولعله جدير بالذكر أن الأراضي القاحلة تؤثر على ثلث سطح الأرض وأكثر من مليار شخص.

تتضمن تبعات التصحر والجفاف الافتقار إلى الأمن الغذائي وانتشار المجاعة وتفاقم الفقر. وقد تؤدي التوترات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الناجمة عن ذلك إلى خلق الصراعات والمزيد من الفقر، بالإضافة إلى زيادة تردي حالة الأراضي. ويهدد التصحر المتنامي في العالم بزيادة أعداد الفقراء بالملايين، الأمر الذي يجبرهم على البحث عن مساكن ومصادر عيش جديدة.

إن نسبة تتراوح بين 10% و 20% من الأراضي القاحلة متردية بالفعل، والمشكلة أكثر تعقيداً في الدول النامية. تقدر إجمالي مساحة الأراضي المتأثرة بالتصحر بين 6 و 12 مليون كم مربع (على سبيل المقارنة تمثل كل من البرازيل، وكندا، والصين جميعاً نسبة تصل ما بين 8 و 10 مليون كم مربع).

تحتوي الأراضي القاحلة على 43% من نسبة الأراضي المزروعة في العالم. ويتسبب تردي الأراضي في خسارة تقدر بحوالي 43 مليار دولار سنوياً من الإنتاج الزراعي. وتُترك حوالي ثلث أراضي المحاصيل في العالم خلال الأربعين عام المنصرمة نتيجة لتآكلها حيث أصبحت غير قابلة للإنتاج. ينضم حوالي 20 مليون هكتار سنوياً من الأراضي الزراعية إلى الأراضي القاحلة حيث تصبح متردية للغاية بالنسبة للإنتاج المحصولي أو يتم فقدانها نتيجة للانتشار الحضري.

خلال العقود الثلاث الفائتة أدت الحاجة إلى محاصيل زراعية ذات مردود مرتفع لإطعام نسبة السكان المتنامية إلى زيادة الضغط الواقع على الأراضي والموارد المائية. بالمقارنة بسبعينيات القرن الماضي، توجد زيادة تقدر بحوالي 2.2 مليار شخص في حاجة إلى الاطعام يومياً. وحتى الآن تتماشى حركة إنتاج الغذاء مع النمو السكاني،

ولكن التوسع المستمر يعني أننا قد نحتاج إلى زيادة الغذاء بنسبة 60% خلال الثلاثين عاماً القادمة. إن الحاجة المتزايدة للأراضي الزراعية تعتبر مسؤولة عن 60-80% من قطع الغابات في العالم.

يتبدى التصحر في حوالي 30% من الأراضي التي يتم ربيها و 47% من الأراضي الزراعية التي تروبوها الأمطار و 73% من المراعي. وكل عام، هناك 1.5 – 2.5 مليون هكتار من الأراضي التي يتم ربيها و 3.5-4 مليون هكتار من الأراضي التي تروبوها الأمطار، و 35 مليون هكتار من المراعي، تفقد جميعاً كل إنتاجيتها أو بعضها نتيجة لتردي الأراضي.

تسير عملية استعادة التربة التي فقدت نتيجة للتآكل ببطء شديد، إذ قد تستغرق 500 عام لتشكيل 2.5 سم من التربة. وتعتبر العواصف الغبارية مشكلة مستفحلة في العديد من المناطق وتؤثر على صحة الأشخاص وعلى النظم البيئية على المستوى المحلي وعلى مسافات شاسعة. كما تؤثر العواصف الثقيلة الآتية من صحراء جوبي على كل من الصين وكوريا واليابان؛ مما يؤدي إلى ارتفاع عدد حالات الحمى والسعال، وتقرح العيون خلال الفصل القاحل. فضلاً عن أن الغبار القادم من الصحراء الكبرى يؤدي إلى مشاكل في الجهاز التنفسي واصلاً إلى شمال أمريكا ومؤثراً على الشعاب المرجانية في البحر الكاريبي.

أعلنت الجمعية العامة عام 2006 العام الدولي للصحاري والتصحر. كما يمثل عام 2006 الذكرى العاشرة لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر في تلك الدول المواجهة للجفاف أو تصحر خطير أو كلاهما وخصوصاً أفريقيا. صدق على الاتفاقية 191 طرف ممثلين كافة الدول الأعضاء بالأمم المتحدة.

تتضمن عواقب التصحر ما يلي:

- انعدام الإنتاج الغذائي وتقلص إنتاجية التربة وانخفاض قدرة التربة الطبيعية على الانتعاش؛
- زيادة فياضانات أسفل مجرى النهر، وتقليل جودة المياه، والترسيب في الأنهار، والبحيرات، وانسداد الخزانات وقنوات الملاحة بالطمي؛
- تفاقم المشكلات الصحية نتيجة للغبار الذي تنوره الرياح والتي تتضمن إصابات العيون وأمراض الجهاز التنفسي، والحساسية، والضغط الذهني؛
- فقدان مصادر كسب العيش الأمر الذي يجبر الأشخاص على الهجرة.

تظل الأراضي القاحلة فقيرة لأن:

- الفقراء الذين يعيشون في الأراضي القاحلة، ولاسيما النساء، نادراً ما يكون لهم رأي سياسي قوي، وغالباً ما يفتقرون إلى الخدمات الأساسية مثل الرعاية الصحية، والارشاد، والتعليم الزراعي؛ كما أن تستمر مظاهر التفرقة النوعية ضد المرأة فيما يتعلق بلوائح ملكية الأراضي؛
- غالباً ما يفتقر قاطنو الأراضي القاحلة إلى الضروريات الزراعية مثل الأدوات، والأسمدة، والمياه، والمبيدات، والبذور. كما أنهم لا يتمتعون بفرص النفاذ للأسواق، علاوة على أن منتجاتهم نادراً ما تأخذ سعراً زهيداً بسبب ترددي جودتها؛
- غالباً ما تفشل المجتمعات المحلية في الاستفادة من الموارد المحلية الأخرى مثل مناجم المعادن أو الحياة البرية، وغيرها من وسائل جذب السائحين؛
- غالباً ما تكون عملية الحصول على المياه، والحقوق المتعلقة بهذا المورد غير مناسبة، كما أن موارد المياه غالباً ما تدار بشكل غير ملائم؛ مما يؤدي إلى الإفراط في الاستخدام وملوحتها؛
- غالباً ما يتم الإفراط في حرث ورعي الأرض مما يؤدي إلى تراجع الإنتاجية فيها؛
- تتأثر مجتمعات الأراضي القاحلة بصفة خاصة بالجفاف، فهي غالباً ما تعتمد على الماشية أو المحاصيل الغذائية، وتفتقر إلى مخزون الغذاء أو المال أو التأمين أو غيرها من شبكات الأمان الاجتماعي، كي تتكيف مع السنوات العصيبة.

تتطلب محاربة الفقر في الأراضي القاحلة التعامل مع كل تلك المشكلات على وجه السرعة.

يشير مشروع تقييم الألفية للنظم البيئية إلى أن منع التصحر أسهل من عكس آثاره. ويرجع ترددي الأراضي القاحلة إلى الضغط السكاني، والممارسات السيئة لإدارة الأراضي. وقد تساعد الإدارة الجيدة للمحاصيل والرعي الأكثر مراعاة، واستراتيجيات توفير وظائف غير زراعية للأشخاص القاطنين بالأراضي القاحلة في مواجهة المشكلة.